المحور الثانى
انتقال المنطق إلى اللغة العربية

يروى لنا أبو نصر الفارابى قصة انتقال المنطق من الإسكندرية إلى بغداد فيقول: «انتقل التعليم بعد ظهور الإسلام من الإسكندرية إلى أنطاكية وبقى بها زمناً طويلاً إلى أن بقى معلم واحد، فتعلم منه رجلان، وخرجا ومعهما الكتب، فكان أحدهما من أهل حران والآخر من أهل مرو، وكانت مرو هذه عاصمة خراسان، فأما الذى من أهل مرو فتعلم منه رجلان أحدهما «إبراهيم المروزى»، والآخر «يوحنا بن حيلان» وتعلم من الحرانى: «إسرائيل الأسقف» «وقويرى» وسارا إلى بغداد فتشاغل إسرائيل بالدين، وأخذ «قويرى» في التعليم – وأما «يوحنا بن حيلان» فإنه تشاغل أيضا بدينه – وانحدر «إبراهيم المروزى» إلى بغداد فأقام بها وتعلم منه « متى بن يونان» وتعلمت من «يوحنا بن حيلان» وقرأت عليه إلى آخر كتاب البرهان – التحليلات الثانية – وكان الذى يتعلم في ذلك الوقت إلى آخر الأشكال الوجودية[٢٥].

والفارابى بهذا أوصل سلسلة الدراسات الفلسفية من بعد ظهور الإسلام في النصف الأول من القرن السابع الميلادى إلى وقته – منتصف القرن العاشر – من القرن الأول الهجرى إلى النصف الأول من القرن الرابع أى إلى ما بعد ظهور حركة الترجمة بقرنين.

---

(٢٥) أبو نصر الفارابى – مبادئ الفلسفة القديمة ص هـ ، وقارن ص ٦٠٥ من «عيون الأنباء في طبقات الأطباء».

وهذا يفيد استمرار الدراسات الفلسفية بعد الفتح الإسلامي في مدينة أنطاكية على الحدود بين الإمبراطورية البيزنطية، وفي حران في شمال العراق التابعة لسوريا وانتقلت إلى الأولى في خلافة عمر بن عبد العزيز وإلى الثانية في خلافة المتوكل، ٢٣٢هـ[٢٦].

ويعنينا الآن أن نفصل هذا الإجمال لكى نوضح أسلوب انتقال المنطق إلى العالم الإسلامي وذلك ببيان النقاط التالية:

أولاً: الدوافع التى دفعت المسلمين إلى نقل المنطق.

ثانياً: أسلوب انتقال المنطق وكيفيته.

١- العوامل التى دفعت المسلمين إلى نقل المنطق:

هناك أسباب عامة لنقل العلوم الفلسفية اليونانية، وأسباب خاصة لنقل المنطق: وقد اختلف الباحثون في الأسباب العامة للنقل، فبينما يروى السيوطى قصة تبدو عليها مظاهر التلفيق والتنفير وهى أن السبب في نقل العلوم

---

(٢٦) د. محمد البهى «الجانب الإلهى من التفكير الإسلامي» ص ٢١٩.

وفي هذا دليل على أن حادثة حريق مكتبة الإسكندرية مجرد خرافة - فقد نسب بعض المؤرخين إلى عمر بن الخطاب أنه أمر بحرق مكتبة الإسكندرية وقد أثبت كثير من الباحثين أن هذه مجرد خرافة - راجع فلسفة الفكر الإسلامي لهنرى سيرويا ص ٤٢ حيث يعترف رينان بأن عمر لم يحرق مكتبة الإسكندرية، وقارن مقالة ماكس مايرهوف «من الإسكندرية إلى بغداد» حيث يقدم عشرات الأدلة على استمرار الدراسات الفلسفية بعد الفتح الإسلامي، وعلى أن مكتبة الإسكندرية لم تحرق - راجع ص ٥٢ من التراث اليونانى في الحضارة الإسلامية تعريب عبد الرحمن بدوى. كذلك قارن ص ٢٨٢ جـ ٤ من تاريخ العلم جورج سارتون - حيث يقدم الأدلة على أن مكتبة الإسكندرية قد تهدمت قبل الفتح الإسلامي على يد البطريق «تليونيلوس» سنة ٣٨٥م.

اليونانية والهدف منه كان هدم العقيدة الإسلامية حيث إن يحيى بن خالد البرمكى قد أرسل إلى ملك الروم يطلب منه هذه الكتب فوجدها ملك الروم فرصة لهدم العقيدة الإسلامية(٢٧)، يرى كثير من الباحثين المصنفين أن أسباب النقل - كانت على العكس بهدف الدفاع عن العقيدة الإسلامية من جهة، كما كانت تحقيقا لدعوة الإسلام إلى العلم من جهة ثانية.

هذا ويرى الدكتور محمد البهى أن من الأسباب العامة للترجمة والنقل تفكك وحدة المسلمين في الرأى والاتجاه، وتقريب العناصر صاحبة الثقافة الأجنبية والاتصال بها، كما يرى أن طابع الدولة التى قرن عصر الترجمة بقيامها وهى الدولة العباسية كذلك كان من الأسباب العامة للترجمة لأنها كانت تحمل عقلية جديدة لم تعهدها الجماعة الإسلامية وهى الميل إلى العلم أيا كان نوعه كنتيجة لاختلاطهم بالفرس، واستعانتهم بهم في كثير من شئون الدولة(٢٨).

---

(٢٧) السيوطى «صون المنطق والكلام» ص ٦ وما بعدها، وقارن ص ٧٩ من المجلد الأول من شرح لأمية المعجم لجلال الدين الصفدى، وص ٢٣ من «أخبار العلماء بأخبار الحكماء» للقفطى حيث يروى نفس القصة ولكن مع تغيير بسيط في الشخصيات حيث يضع المأمون مكان خالد، والسيوطى يرى أن العباسيين فعلوا هذا الفعل بلا قصد منهم وأنهم لم يدركوا الغاية منه، ويرى الدكتور محمد عبد الستار نصار أن هذه الرواية حتى وإن صحت من ناحية السند إلا أن رواتها من أصحاب الاتجاه النصى الأمر الذى يجعلنا لانحفل بها كثيرا لاسيما إذا تبين لنا أن قضايا علم المنطق لاتمس قواعد الدين - راجع ص ٧ من «مقدمة الرد على المنطقيين» للدكتور/ محمد عبد الستار نصار، والدكتور/ عماد خفاجى - الجزء الأول - مكتبة الأزهر.

(٢٨) د/ محمد البهى «الجانب الإلهى من التفكير الإسلامي» ص ٢٢٨

ونضيف إلى ما سبق سبباً هاماً وهو الاستقرار والترف الذى عاشه العباسيون، فقد كان سبباً هاماً مكنهم من بذل الوقت والمال في سبيل الترجمة وذلك خلافاً للفترات السابقة في الدولة الإسلامية وهى فترات نشر الإسلام والانشغال ببناء الدولة الإسلامية.

وهكذا تكون دعوة الإسلام إلى العلم والثقافة[٢٩]، واستقرار الأمور في الدولة الإسلامية من الأسباب العامة لنقل العلوم الفلسفية.

وأما الأسباب الخاصة لنقل المنطق على الخصوص فتتمثل فيماياتى:

أولاً: أن الإسلام وهو دين الحرية العقدية لم يحجر على العقائد السابقة ولم يقف حجر عثرة أمام حرية التفكير وإنما أطلق لها العنان «حتى ولو مست العقيدة الإسلامية» وقد لفتت هذه الظاهرة أنظار المستشرقين حتى يقول آدم ميترز: «وكان تسامح المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى وهو التسامح الذى لم يسمع بمثله في العصور الوسطى سببا في أن لحق بمباحث علم الكلام شيء لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى وهو علم مقارنة الأديان»[٣٠].

ذلك أن المسيحيين واليهود لم يحمدوا للإسلام هذه الفضيلة وإنما حاولوا من جانبهم استغلالها في محاولة التشكيك في العقيدة الإسلامية من جهة وفي

---

(٢٩) د/ عبد المتعال الصعيدى «الوسيط في تاريخ الفلسفة» ص ١٠ - الطبعة الخامسة « بدون تاريخ» نشر مكتبة الجامعة الأزهرية.

(٣٠) آدم ميترز «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى» ج١ ص ٣٨٤، وقارن ص ٨٩ حيث يشير هناك إلى أن الإسلام كان أكثر تسامحا مع طوائف النصارى من الدولة الرومانية الشرقية حتى كانت الدولة الإسلامية تحمى بعض طوائف النصارى من البعض الآخر - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى - ترجمة عبد الهادى أبو ريدة بيروت سنة ١٩٦٧م.

محاولة نشر عقائدهم الباطلة من جهة ثانية.

ومن هنا كثر التناظر والجدل مع المسيحين واليهود، وكان هؤلاء يستخدمون في جدلهم أسلوب المنطق اليونانى، بل إن الاحتكاك الدينى بين المسلمين والنصارى وصل إلى أن أحد المسيحين وهو «يوحنا الدمشقى» كتب مقالة في «المجادلة بين المسيحى والمسلم» يفصل فيها كيفية الجدل مع المسلمين «إذا قال لك المسلم كذا فأجبه بكذا»(٣١).

وتدل هذه المقالة كما يقول أوليرى - على أن حرية الجدل الدينى كانت مباحة في دمشق وأنه كان يسمح للمسيحين بنقد الدين الرسمى بحرية مطلقة(٣٢).

كما كان للفرس والسريان عقائدهم الخاصة التى حاولوا نشرها بين المسلمين سالكين فيها مسلك الأقيسة المنطقية(٣٣).

وهنا وقف المسلمون أمام هذه التيارات الجديدة ماذا يفعلون هل يردونها بالقوة والقهر ويحرمون على أصحاب العقائد الأخرى نشر عقائدهم أو مجادلة المسلمين؟ أم يسلكون مسلكهم في الجدل فيقنعونهم بالحجة والبرهان؟ والمسلك الأول لا.

---

(٣١) د/ أحمد أمين «فجر الإسلام» ص ١٣٤ دار النهضة العربية - الطبعة السابعة.

(٣٢) أونيرى «علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب» ص ١٩٣.

(٣٣) د/ أبو الوفا الغنيمى التفتازانى «علم الكلام وبعض مشكلاته» ص ٢٢ - القاهرة سنة ١٩٦٦م.

٢- أسلوب انتقال المنطق:

انتقل المنطق اليونانى إلى العالم الإسلامي عن طريقين أساسيين[٣٤].

الأول: هو طريق غير مباشر وهو طريق المشافهة مع الذين عاشوا في ظل الحكم الإسلامي ممن كانو على علم بمنطق اليونان.

والثانى: الطريق المباشر وهو طريق النقل والترجمة. ويهمنا الآن أن نوضح كلا الطريقين:

(أ) الطريق الأول: وهو الأسبق تاريخيا، وقد يصعد في سلم الماضى إلى ما قبل الفتح الإسلامي - وهو طريق المشافهة والاختلاط مع الأمم المفتوحة، فقد اختلط المسلمون مع أهل فارس وسوريا والعراق - وكان غير المسلم يعيش مع المسلم في حرية تامة، بل كان المسلمون يستعينون بهم في كثير من الشئون.

- فيروى أن الحارث بن كلدة الثقفى قد تعلم - في مدينة «جنديسابور» الطب وعلوم الفلسفة ثم رجع إلى الطائف فأقام بها وأسلم مع أهلها وكان

---

(٣٤) يقول أوليرى: لقد عاش الفكر اليونانى المشتغل بالعلوم ردحا من الزمن في العالم قبل أن يصل إلى العرب، وفي هذه الأثناء كان قد انتشر في مختلف النواحى، وعلى ذلك فليس من عجب أن يصل إلى العرب عن أكثر من طريق واحد فقد وصلهم أولا من أقرب السبل عن طريق الفرس والرومان ثم عكف العرب على المصادر اليونانية الأصلية، وتعلموا منها من جديد كل ما كانوا قد عرفوه من قبل، وهناك وسيلة أخرى غير مباشرة لانتقال العلوم اليونانية إلى العرب عن طريق الهند فقد وصل العلم اليونانى إلى الهند عن طريق البحر الذى كان يصل الإسكندرية بالشطر الشمالى الغربى من الهند - ومعلوم أنه كان هناك طريق للتجارة بين الهند والعرب مما يرجح التبادل الثقافى بينهم - راجع ص ٣ و ص ١٣٥ من علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب.

الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر من يمرض من أصحابه بالعلاج عنده(٣٥).

- كما يروى أن عمر بن الخطاب قد استخدم الفنيين من الأجانب حين أمر بالانتفاع بمواهب أبى لؤلؤة المجوسى وغيره(٣٦).

وكان عمرو بن العاص يجتمع في مصر بيوحنا النحوى فيستمع إلى ما عنده من الحكمة، وكان يوحنا من القسس اليعاقبة، وقيل أنه أسلم وقام بترجمة بعض الكتب، ويقول الشيخ محمد عبده فيما ينقله عن أحد فلاسفة الغرب «إن المحبة التى أنشئت بين عمرو بن العاص فاتح مصر ويوحنا النحوى ترينا مبلغ ما يسمو إليه العقل العربى من الأفكار الحرة والرأى العالى»(٣٧).

كما كان معاوية يتخذ من آثال النصرانى طبيباً له، وكان يترك مقاليد بعض البلاد التى يفتحها في أيدى حكامها من المسيحيين بعد أن تخضع للراية

---

(٣٥) د/ عبد المتعال الصعيدى «الوسيط في تاريخ الفلسفة» ص ١١، وقارن ص ١٦١ من «عيون الأنباء في طبقات الأطباء».

(٣٦) د/ محمد غلاب «المعرفة عند مفكرى المسلمين» ص ١٥٣.

(٣٧) الشيخ محمد عبده «الإسلام والنصرانية بين العلم والمدينة» ص ٨٦. هذا ويروى القفطى قصة طريفة عن يوحنا فيقول: إن يوحنا كان ملاحا يعبر الناس بسفينته، وكان يحب العلم فإذا ركب معه بعض أهل العلم أصغى إليهم، فهشت نفسه إلى العلم ولكنه قال: لقد بلغت ما بلغت من العمر وما عرفت غير صناعة الملاحة فكيف يمكننى أن أحصل شيئا من العلم - وبينما هو يفكر إذ رأى نملة وقد حملت نواه تمرة وتحاول الصعود بها وكلما وقعت منها حاولت مرة ثانية حتى بلغت بالمجاهدة غرضها - فقال إذا كان هذا الحيوان الضعيف قد بلغ غرضه بالمجاهدة فبالحرى أن أبلغ غرضى بالمجاهدة فباع السفينة ولزم دار العلم حتى يرى في النحو والمنطق واللغة وترجم كثيرا من الكتب - قارن ص ٢٢٤ من أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى، وص ١٥٢ من «عيون الأنباء» لابن أبى أصيبعة.

الإسلامية[٣٨].

وكان هذا الاحتكاك بين المسلمين وغيرهم سببا غير مباشر في نقل المنطق إلى العالم الإسلامي، ذلك أن المنطق هو لغة العقل الإنسانى، ولذلك فإن الإنسان قد يتأثر بأسلوب ومنطق من يحاوره أو يعيش معه حتى ولو لم يكن على علم بقواعد هذا المنطق أو تقعيداته ولذلك يقول جولد زيهر «ليس التأثير للكتب المترجمة وحدها بل كان للاختلاط بين المسلمين وغيرهم من العناصر الأخرى كالمسيحيين دخل في هذا التأثير. ففي القرن السابع الميلادى حصل نقاش بين المسلمين وجدل عنيف حول القضاء وحرية الإرادة لتسرب مثل هذا النقاش إليهم من المسيحيين الشرقيين حول هذه المسألة، وذلك بحكم الاختلاط الشخصى وغير هذه المشكلة من الأفكار الفلسفية الإغريقية كأفكار أرسطو والأفلاطونية المحدثة تسربت اليهم بواسطة النقل الشفوى أكثر من الترجمة والنقل»[٣٩].

ويشير سانتلانا إلى وصول العرب إلى كثير من العلوم عن طريق المعايشة والاختلاط فيقول «ولا شك أيضا في وصول العرب إلى شيء من ذلك عن طريق المحاورة والمناظرة حين اختلطوا بالروم والصابئة والمصريين بعد فتوح البلدان الشرقية».

ويضع الدكتور النشار احتمالاً آخر لطريق من طرق نقل المنطق وهو أن يكون من المسلمين من تردد على الأسكول والمدارس الملحقة بالكنائس والأديرة وعرف أجزاء من الفلسفة والمنطق[٤٠].

---

(٣٨) د/ محمد غلاب «المعرفة عند مفكرى المسلمين».

(٣٩) راجع كتاب «أبو الفريل العلاف أول متكلم إسلامي تأثر بالفلسفة» ص ٣٣، للدكتور/ على الغرابى - الطبعة الأولى - مطبعة حجازى ١٩٤٠م.

(٤٠) د/ على سامى النشار «نشأة الفكر الفلسفى في الإسلام» ص ٧٩ جـ ١.

وإن كنا نرى أن هذا احتمال ضعيف ذلك أن المسلم بطبعه تشمئز نفسه من النظر إلى الكنيسة فضلاً عن التلقى عن قساوستها.

(ب) الطريق الثانى: هو الطريق المباشر وهو طريق الترجمة والنقل.

ويروى صاحب الفهرست أن أول نقل في الإسلام من لغة إلى لغة كان على يد خالد بن يزيد بن معاوية (٨٥هـ)[٤١] وقد قام بترجمة الطب والنجوم والكيمياء.

وهناك إجماع من المؤرخين على رأى ابن النديم في أن أول ترجمة وقعت على يد خالد بن يزيد بن معاوية[٤٢] إلا أن بعض الباحثين يرى أن خالدا لم يكن أول ناقل للعلوم ذلك أنه مسبوق بمجهودات أخرى في هذا المجال. فقد نقل مروان بن الحكم قبل خالد بما يقرب من عشرين سنة (٦٥هـ) كتاباً في الطب نقله له يتفق مع طبيعة الإسلام. ومن هنا سلكوا المسلك الثانى فعمدوا إلى نقل المنطق اليونانى كعلم وقواعد حتى يتمكنوا من مجادلة أعداء الإسلام بمنهجهم، فيأمنوا شرهم لأن من عرف لغة قوم أمن شرهم. يقول الدكتور محمد عبد الستار نصار: «وربما تأكد لذوى العقول المتفتحة من المسلمين إن الأخذ بالمنطق في جدل الأعداء إنما هو تفسير للأمر بالجدل بالتى هى أحسن كما جاء في قوله تعالى: ﴿إدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ وعلى هذا فالعيب كل العيب في نظر هؤلاء إذا انصرف المسلمون عن الأخذ بهذا المنطق، لأنهم والحالة هذه سيكونون أمام أمرين: إما القصور أمام الخصوم، وإما محاولة فرض آرائهم بطريق الجبر

(٤١) ابن النديم «الفهرست» ص ٣٣٨.

(٤٢) تراث الإسلام جـ ٢ ص ٨٦.

والقسر وهذا أمر لا يرضاه الدين[٤٣].

ومن هنا نقل المسلمون المنطق لكى يكون عندهم السلاح الذى يحاربون به أعداءهم ويجادلونهم بمثل سلاحهم.

ثانياً: يضاف إلى ذلك سبب آخر، وهو حرص المسلمين على رفعة شأن الدين، فكان ولاة الأمور يبذلون المال لنقل كتب الفلسفة ومنها المنطق للدفاع عن العقيدة الإسلامية.

الطبيب ماسرجوه من السريانية إلى العربية

وسواء صحت هذه الرواية أم لم تصح فإن الإجماع منعقد على أن خالدا هو أول من قام بحركة منظمة لنقل بعض العلوم العملية، وقد يكون ذلك لحاجته المادية كما يروى أو لرغبته في العلم كما نرى نحن.

ويروى أن خالدا هذا قد أمر بترجمة مجموعة كتب أرسطو المنطقية إلا أنه يقوم في وجه هذه الرواية كثير من الشكوك، فالرأى على أن المنطق لم يترجم إلا في عهد أبى جعفر المنصور.

وأما في عهد الدولة العباسية (١٣٢هـ - ٦٥٦هـ):

فقد استقرت الأمور وبلغت في الترف مبلغاً كبيراً وتفرغ الأمراء لنقل المنطق وسائر العلوم الأجنبية إلى اللغة العربية وكان أبو جعفر المنصور هو أول من أمر بنقل المنطق لحاجة المسلمين إليه، وأنفق في سبيله الكثير من الأموال على ما كان يوصف به من شح وبخل، فبعث لملك الروم وطلب منه أن يرسل إليه بكتب التعاليم مترجمة، فبعث إليه بكتاب أقليدس، وبعض كتب الطبيعيات، فقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصاً على الظفر بما بقى منها.

(٤٣) د/ محمد عبد الستار نصار «مقدمة الرد على المنطقيين» ص ٦

وكان أول ما ترجم من كتب المنطق كتاب المقولات، والعبارة، والتحليلات الأولى، وإيساغوجى، وذلك على يد ابن المقفع ويأمر أبى جعفر.

يقول صاعد الأندلسى: «فأما المنطق فأول من اشتهر به في هذه الدولة هو عبد الله بن المقفع الخطيب الفارسى كاتب أبى جعفر المنصور، فإنه ترجم كتب أرسطاليس المنطقية الثلاثة، وهى كتاب قاطيغيور ماس وكتاب بارى أرمنياس، وكتاب أنالوطيقا، وذكر أنه لم يترجم منه إلى وقته إلا الكتاب الأول فقط، وترجم كذلك المدخل إلى كتاب المنطق المعروف بإساغوجى لفورفوريوس الصورى، وعبر عن ترجمته بعبارة سهلة قريبة المأخذ وترجم الكتاب الهندى كليلة ودمنة، وهو أول مترجم من الفارسية إلى العربية»(٤٤).

ومهما كان الأمر، فقد عرف مفكرو الإسلام المنطق الأرسطى على أحسن ما يكون واعتنوا به عناية فاقت عنايتهم بالفلسفة، وذلك واضح من الدقة والاتقان التى تتمثل في ترجمة كتاب أرسطو «الأورجانون».

فقد حرص القوم على أن يكون بين أيديهم أدق صورة عن الأصل فلم يكتفوا بالترجمة الواحدة، بل تعاقبت الترجمات على النص الواحد لدرجة أن بعضاً من كتب أرسطو المنطقية قد ترجم أربع مرات وكانوا يثبتون الفروق بين الترجمات. ولم يكتف المسلمون بمرحلة الترجمة السريعة التى تمت في عهد المأمون وعهد أبى جعفر من قبله، وإنما حاولوا في القرن الرابع الهجرى إعادة ترجمة كل ما ترجم وبأسلوب المقارنة والتحقيق، وبل وبأسلوب نقدى حديث حتى إن الحسن بن ثوار أبى إلا أن يثبت كل ترجمات الأورجانون في نسخته التى استنسخها منه، وهذا إمعان في تحرى الدقة العلمية إلى آخر حدودها، ولهذا يقول: «فلأنا أحببنا الوقوف على كل ما وقع لكل واحد فيهم، كتبنا جميع النقول التى وقعت إلينا ليقع التأمل لكل واحد منها

(٤٤) صاعد «طبقات الأمم» ص ٤٩.

ويستعان ببعضها في إدراك المعنى»[٤٥].

نتائج ترجمة المنطق اليونانى:

لقد أدت ترجمة المنطق اليونانى ونقله إلى اللغة العربية إلى نتائج كان لها أعظم الأثر على الإنسانية كلها، ذلك أن المسلمين قد وقفوا أمام المنطق وقفة علمية ناقدة أسفرت تلك الوقفة عن ابتكار منهج جديد ظهر على مسرح تاريخ العلم لأول مرة وهو المنهج العلمى التجريبى الذى لم تعرفه الحضارة اليونانية ذات الطابع العقلى النظرى، فلم يقف المسلمون عند حدود الترجمة، ولم يقدسوا منطق أرسطو كما أشيع عنهم، ولم يتوقفوا عند النتائج التى توصل إليها أرسطو، وإنما واصلوا البحث واجتهدوا في الدرس، فأصلحوا كثيراً من الأخطاء التى وقع فيها أرسطو، وتوصلوا إلى نظريات جديدة، واكتشافات منطقية مبتكرة، فطوروا بتجاربهم وأبحاثهم ما أخذوه من مادة خام عن اليونان وشكلوه تشكيلاً جديداً، فالمسلمون الذين اكتشفوا المنطق التجريبى وعرفوا كيف يتدرجون من الجزئيات إلى الكليات ويضعون أسس الاستنتاج، ويفصلون بين مناهج البحث العلمى ويحددون لكل موضوع منهج بحثه الملائم فظهر في العالم الإسلامي ذلك المنهج الذى يجمع بين أجنحة ثلاثة:

منهج البحث التجريبى. منهج البحث العقلى. منهج الوحى والنقل.

تلك المناهج التى تميز الحضارة الإسلامية عن الحضارات السابقة أو اللاحقة.

فلقد كانت الحضارة اليونانية حضارة عقلية بحتة قامت على أساس التأمل والنظر – ولم تعرف المنهج التجريبى. كما كانت الحضارة الأوربية الحديثة حضارة تجريبية بحته – بعد أن أخذت المنهج العلمى التجربى من المسلمين.

---

(٤٥) راجع تصدير منطق أرسطو ص ٧ وما بعدها.

أما الحضارة الإسلامية فقد امتازت بتعدد المناهج مثبتة بذلك أصالتها المطلقة، فقد استفادت فكرة تعدد المناهج من مصدرها الأول وهو القرآن الكريم الذى أشار في كثير من آياته إلى تلك المناهج الثلاثة.

إن المسلمين بسبب ابتكارهم للمنطق التجريبى ظهر من بينهم علماء أعلام في شتى المجالات وفي مختلف الميادين حتى سبقوا الغرب إلى كثير من النظريات في الطبيعة والكيمياء والرياضة والفلك والطب، وأغنوا التراث الإنسانى بكثير من المعانى والأفكار لأن حركة التعريب عندهم كانت لها فلسفة معينة، ولم تكن حركة عشوائية، وهذا ما سنوضحه فيمايلى:

فلسفة حركة التعريب بين القديم والحديث:

كانت لحركة التعريب عند المسلمين فلسفة خاصة: وهى أن ينقلوا من العلوم ماهم في حاجة إليه، وما لايتعارض مع قيم دينهم.

ومما يستلفت النظر في الكتب المترجمة، وخصوصا عن اليونان أن النقل كان محصوراً في مجال الفلسفة والعلم، والمنطق – وتلك هى المجالات التى كان يجهلها العرب في هذا الوقت، ولكنهم لم ينقلوا مثلا آداب اليونان ولا قصصهم الدرامية، فهم لم يطلبوا ترجمة (هوميروس) أو (سوفكليس) أو (يوربيدس) أو غيرهم من أدباء اليونان، وذلك لاعتقادهم الراسخ بأنهم في حاجة إلى هذه المجالات، ولاعتزازهم بآثارهم الأدبية التى كانوا يحبونها لدرجة التقديس.

وإذا ما أضفنا إلى ذلك أن الدراما اليونانية كانت ذات صبغة أسطورية دينية خاصة، عرفنا كيف كان المسلمون معتزين بإسلامهم. وكيف كانوا محافظين على هويتهم الثقافية.

ولئن كانت قد ترجمت بعض الآثار الأدبية عن الفرس أو الهنود، فلم

يكن ذلك بتوجيه من المسلمين بل بمبادرة خاصة من المترجمين الفرس لحاجة في نفوسهم.

ويمكن تعليل هذه الظاهرة على نحو آخر يقوم على المنطق الحضارى، ذلك أن الحضارات الإنسانية لها جانبان:

الجانب المدنى: الذى يتعلق بالجانب المادى من العلوم وهو يمثل تراثاً إنسانياً عاماً لاتختلف فيه أمة عن أمة ولا حضارة عن حضارة، لأنه عبارة عن محاولة الوصول إلى القوانين والسنن التى تحكم المادة طبقا للمنهج العلمى التجريبى.

والجانب الثانى: هو الجانب الثقافى: الذى يتعلق بتشكيل الروح وتكوين العقل وتحديد السلوك، وهذا الجانب يمثل خصوصية بالنسبة لكل حضارة، ولك أمة تبعا لاختلاف منهجه وغايته وهدفه، فقد يكون مصدره النقل وحده عند أمة، وقد يكون مصدره العقل والوحى عند أمة أخرى وهكذا، ومن هنا تكون لكل أمة ذاتيتها وخصوصيتها وهويتها المميزة.

فالمسلمون أخذوا الجانب المادى ولم يهتموا بالجانب الروحى، وهكذا كان موقفهم موقفاً علمياً عقلياً انتقائياً، حيث عربوا من الحضارات السابقة ما فيه صالحهم، وما هم في حاجة إليه فقط، ولم يتأثروا بالجانب الثقافى والسلوكى والأخلاقى لهذه الأمم، بل أخضعوا هذا الجانب لحركة نقدية كشفت عما فيه من سلبيات لا تتفق مع ثقافتهم الإسلامية.

وحتى هذه العلوم التجريبية المادية التى عربوها وجهها الإسلام توجيها آخر غير الذى كان في عقول أصحابها، فقد كانت غاية هذه العلوم عند أصحابها هى إخضاع الناس والسيطرة عليهم ونهب ثرواتهم واستبعادهم – هذا هو شأن الحضارة الغربية قديماً وحديثاً.

أما الإسلام فقد وجه هذه العلوم لخدمة أهداف الإنسانية جميعاً وتحرير

الإنسان من عبودية الفرد وتحقيق النفع له، وذلك انطلاقاً من التوجيه القرآنى العظيم ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾[٤٦].

فإذا ما قارنا بين هذا الموقف الانتقائى المتعقل للمسلمين قديما بالموقف الحديث من حركة الترجمة والتعريب، نجد أن مواقفنا اليوم تتسم بنوع من اللاعقلانية، حيث تركزت حركة الترجمة والتعريب على الجانب الثقافى فترجمت آلاف القصص والروايات الأجنبية والعلوم النظرية دون اهتمام أو تركيز على الجانب التقنى والعلمى، ومع أن حركة الترجمة الحديثة بدأت على يد رفاعة الطهطاوى بداية جادة، حيث صرف رفاعة كل وقته في ترجمة كتب العلوم المختلفة والصناعات لحاجة البلاد إليها - ولم يهتم كثيراً بالآداب أو الفلسفة أو الفنون إلا قليلاً، فكان أول ما ترجمه على الأطلاق كتباً في أصول المعادن وفي الجغرافيا وفي الطب والهندسة[٤٧].

إلا أن حركة الترجمة قد تركزت جهودها بعد ذلك في الآداب والاجتماع والفلسفة والتاريخ، وكتب الإلحاد والتحلل والاضطراب الفكرى.

وقد برع الكتاب المصريون في هذا اللون على الخصوص، فترجموا قصص الخلاعة والمجون والتحلل لسارتر (وسيمون دى بوفوار) وقصص شكسبير وغيرهم، ولو أنهم وجهوا هذه الجهود إلى ترجمة العلوم التجريبية لشاهدنا نوابغ وعباقرة في هذا المجال: ولكن للأسف الشديد لم ينبغ في هذا المجال إلا أفراد يعدون على أصابع اليد الواحدة، وأما في المجالات الأدبية فهم كثيرون.

---

(٤٦) سورة القصص الآية ٨٣.

(٤٧) الترجمة ومشكلاتها ص ٧٣.

ومن هنا يتبين لنا الفرق بين حركة التعريب قديما وحديثا.

ولهذا حققت حركة التعريب هدفها في فترة وجيزة واستوعبت العرب علوم العصر وثقافته خلال فترة محدودة تستلفت النظر، وصارت العربية لغة العلم لا في نطاق العالم الإسلامي فقط بل في نطاق العالم كله عدة قرون، في حين أن حركة الترجمة الحديثة لم تحقق أهدافها بعد، وقد انقضى عليها قرن ونصف قرن، ولم تصبح العربية لغة العلم حتى في الأقطار العربية ذاتها، وما نزال مستهلكين للحضارة لاصناعا لها، كما كان سلفنا.

المصادر والمراجع

١- التواصل الحضارى والحفاظ على الذاتية - أ. د. سعد الدين السيد صالح دار الصحوة القاهرة سنة ١٩٩٤م.

٢- قصة الصراع بين منطق اليونان ومنطق المسلمين - أ. د. سعد الدين السيد صالح دار الصحوة القاهرة سنة ١٩٩٤م.

٣- الفكر العربى ومكانته في التاريخ - أوليرى - ترجمة د. تمام حسين.

٤- دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب - شحادة الخورى - سوريا ١٩٨٩م.

٥- تاريخ الفلسفة العربية - د. جميل صليبا - دار الكتاب اللبنانى سنة ١٩٨١م.

٦- الترجمة ومشكلاتها - إبراهيم زكى خورشيد - الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٨٥م.

٧- الفهرست - أمين النديم - القاهرة سنة ١٩٣٠م.

٨- عيون الأبناء في طبقات الأطباء - ابن ابى أصيبعة - بيروت ١٩٦٥م.

٩- حركة الترجمة والنقل في المشرق الإسلامي - د. رشيد المجيلى - منشورات جامعة قاريونس.

١٠- شرح لامية العجم - صلاح الدين الصفدى - بيروت ١٩٧٥م.

١١- أين هو الفكر الإسلامي - محمد أركون - ترجمة هاشم صالح.

١٢- الفلسفة الإسلامية وصلاتها باليونانية - د. عوض الله حجازى - القاهرة.

١٣- مقدمة ابن خلدون - بيروت - دار الكتاب اللبنانى.

١٤- حضارة العرب - جوستاف لوبون - ترجمة د. عادل زعيتر - القاهرة سنة ١٩٦٩م.
١٥- أبو الريحان البيرونى - د. على أحمد الشحات - القاهرة سنة ١٩٦٨م.
١٦- من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية - د. محمد عبد الرحمن مرحباً.
١٧- مبادئ الفلسفة القديمة - أبو نصر الفارابى - القاهرة.
١٨- الجانب الإلهى من التفكير الإسلامي - د. محمد البهى.
١٩- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى - آدم ميترز.
٢٠- فجر الإسلام - أحمد أمين - الطبعة السابعة - دار النهضة.
٢١- المعرفة عند مفكرى المسلمين - د. محمد غلاب - القاهرة.
٢٢- طبقات الأمم - صاعد الأندلسى.
٢٣- أثر الثقافة الإسلامية في تكوين الإنسانية - بريفولت.
٢٤- شمس العرب تسطع على أوربا - سجريد هونكة.
٢٥- ندوة التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربى - نشر مركز دراسات الوحدة العربية.